العنوان: أغلقوا نافذة التصوف : نداء الى المولعين بإثارة ما جلبته الشعوبية على الإسلام

المصدر: التوحيد

الناشر: جماعة أنصار السنة المحمدية

المؤلف الرئيسي: هلال، إبراهيم إبراهيم

المجلد/العدد: س 6, ع 1

محكمة: لا

التاريخ الميلادي: 1977

الشهر: ديسمبر

الصفحات: 45 - 47

رقم MD: 158092

نوع المحتوى: بحوث ومقالات

قواعد المعلومات: IslamicInfo

مواضيع: التصوف الإسلامي، العقيدة الاسلامية

رابط: http://search.mandumah.com/Record/158092

اغلقوا نافذة التصوف

« نداء الى المولعين باثارة ما جلبته الشعوبية على الاسلام »

بقلم الدكتور ابراهيم ابراهيم هلال

التصوف قديم قدم الفكر الانسانى ، وهو قد تأصل فى البيئات اليونانية وفى الفلسفة اليونانية ، وفى الفلسفات أو الاديان التى تطعمت بالفلسفة اليونانية . وهو فى مجمله كان يتجه الى البحث فى الوجود ، وفى ما وراء الوجود ، وفى خالق هذا الوجود ، والدعوة الى تلطيف النفس وتجريدها حتى تدرك خالق هذا الوجود أو من صدر عنه هذا الوجود على حد تعبير من اعترف منهم بالصلة بين الله والعالم .

فهو كله اجتهاد ، وبحث فى هذه الخفايا والاسرار الغيبية ، ومحاولة الوصول الى حقيقتها ، حيث حرم هؤلاء نعمة ارسال الرسل فيهم ونعمة الاستجابة لما أتى به هؤلاء الرسل حين سمعوا عنهم أو بلغهم شىء مما أتوا به عن الله سبحانه .

فهو أيضا الحاد فى شكل ايمان ، يصاغ صياغة خاصة حسب أهواء هؤلاء الفلاسفة ، وحسب ما تمليه عليهم خيالاتهم الفاسدة وتصوراتهم القاصرة لله وللوجود ، وفى عقد الصلة بين الله والانسان ، كما تبلور ذلك فى فلسفة (أفلوطين) الذى اخترع فكرة الجذب والعروج الصوفى الى الله ، أو الاتصال به والصعود اليه فكريا ونفسيا ان لم يكن جسميا أيضا ، والذى بنى هذا الاتصال على فكرة صدور الكون عن الله فى هيئة العقل الكلى والنفس الكلية ... الخ .

فهذا هو التصوف قديما . ونحن نقر جميعا بأننا حين نناقشه نعثر فيه على غلو كثير ، لا يليق بجناب الله ، ولا يليق بصلة الله بالكون أو صلة الانسان بالله ، وعلى أخطاء وثنية لم يستطيعوا بعقولهم القاصرة أن يتجنبوها عند البحث فى الكون والوجود .

وهذا هو الانسان ، حين يترك لنفسه دون رسل ، ودون رسالات سماوية ، ولذلك كانت مهمة الرسل ، ومهمة الرسالات السماوية ، هى

التعريف بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، على ما هو حقيقى بالنسبة لله وصفاته وألوهيته ومخلوقاته ، وتعريف الانسان بصلته بربه ، وبما يجب أن يكون عليه بالنسبة لصلاته ببنى جنسه •

لذلك كانت مهمة الرسالات السماوية هى سد نافذة التصوف وفتح نافذة الدين ، للتعرف على الله وعلى الكون عن طريقها لا غير •

وهذا هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم على وتيرة ما جاء به الانبياء قبله ، انه جاء بالحق فى هذا الشأن ، وفصله تفصيلا ، وقدمه للمؤمنين ايمانا كاملا واضحا ، لا عوج فيه ، ولا التفاف ولا غموض ، ولا تناقض ، كما قال القرآن الكريم (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ، ثم جاءهم ، وهم يتناقشون على طريقة هؤلاء الفلاسفة أو المتصوفة السابقين فقال لهم : (تفكروا فى مخلوقات الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا) • وقال لهذه المجموعة من الصحابة أيضا : (أبهذا أمرتكم ، أم بهذا جئت اليكم ؟ ! عزمت عليكم أن لا تفعلوا) •

والله سبحانه وتعالى يشير الينا بذلك فى قوله : (قل ان الهدى هدى الله) و فى غير ذلك من الآيات ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لقد تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنتى ، ألا هل بلغت) •

وعلى هذا درج الصحابة رضوان الله عليهم • ولكن الاسلام حين انتشر فى أقطار كان فيها ذلك التصوف ، وتلك الفلسفات ، ودخله فى هذه الاقطار الكثيرون من أهلها ، وكان فيهم من له اتصال سابق بهذا التصوف ، وكان فيهم أيضا ضعف فى اللسان العربى لم يخول لهم أن يتفهموا القرآن والحديث الشريف كما يجب ، وكان فى بعضهم أيضا حنق على الاسلام والعرب المسلمين ، وغلبت عليهم النعرة الجاهلية ، والاعتزاز بالاصل الفارسى أو غيره ، فلم يستطيعوا أن يتخلصوا جملة مما كانوا فيه من هذا التصوف ، ومزجوا بينه وبين الدين ، وربما كان البعض منهم يقصد بذلك الاساءة الى الاسلام فى مظهر المسلمين وتعبدهم وعقيدتهم واظهاره بالشكل الذى يعرضه للطعن والتجريح ، وايجاده فى نفوس الناس بالوضع الذى لا يجعله يختلط بقلوبهم ، أو يقر فى نفوسهم • فأضافوا اليه من أصول السحر ، ونظريات الكهانة

والشعوذة والغيبيات التى تسحر القلوب والنفوس التى لم تخالطها بشاشة الايمان ، مما جعل الناس يلتفتون اليهم ، ويلتفون حول المتصوف أو المتمسلم بهذا المظهر ، ويتحدثون عنه ، ويغلون فى الحديث عما وقع له من اخبار بمغيبات ، أو مكاشفات ، أو كرامات ... الخ .

وبهذا يتأصل التصوف ويروج ، ويكمن فى نفوس الناس ، وخاصة اذا كان هناك انشغال من القائمين على الحكم الاسلامى وعلى الدين الاسلامى بالسياسة ، أو القلاقل السياسية .

وهذا هو تاريخ التصوف فى الاسلام ، وانى لأرى أنه كان ظرفا سياسيا ، ووجهة شعوبية ، كان لها ما يبررها فى نفوس القائمين به ، من وجهة نظرهم البعيدة عن الاسلام .

ولكننا فى هذا العصر والحمد لله ، قد تطهرنا من تلك الاحقاد السياسية الشعوبية ، وأصبحنا جميعا — مسلمين فى مشارق الارض ومغاربها — لا نعرف لنا أصلا الا الاسلام ، ولا دينا ندين به الا ما أوحى الى محمد عليه الصلاة والسلام . فلنلتزم بهذا الاصل الجميل ، وبهذا الدين الخالص الذى أتى به — من عند ربه — محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وحينئذ فلم يعد هناك داع لأى أسلوب تصوفى يتشابه شكله وأصله مع الفلسفة اليونانية ، أو الوثنية الفارسية ، ويختلف طبعا عما جاء به القرآن ، وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهنا ستجدنا أمام القرآن قلبا وقالبا ، وسنجد فيه كل ما يشفى ويغنى ويقنع كما قال الله سبحانه : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) .

وفى مجال هذه الآية يا دعاة الشعوبية والتصوف لنتكلم فقط ، ودعونا مما قال الحلاج ، ومما قال الغزالى ، ومن الحب الالهى مما يتشاكل جميعه مع هذا التصوف الذى كان الدين يأتى بين الحين والحين فيقفل نافذته ، الى أن جاء محمد صلى الله عليه وسلم وكان خاتم من أقفلوا هذه النافذة . فلنقفلها من جديد بكتاب الله وسنة رسوله .

اذا كان أسلاف لنا قد أخطأوا ، وخرجوا على كتاب الله وسنة رسوله ، فجروا على المسلمين التأخر والتدهور من ذلك اليوم ، وكان هذا هو الذى أراده أولئك الشعوبيون بعمد أو عن غير عمد ، وفتحوها ، فالحق أحق أن يتبع ، والله هو الهادى الى سواء السبيل .

د . ابراهيم هلال